Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استعمله خليل حاوي في شعره : « هذه المرة قال قصيدته الأخيرة . هذه المرة لم يكتبها . لم يُمسك بالقلم »[٧٢]. لقد مارس خليل حاوي القصيدة الأخيرة فعلاً إنسانياً حَوَّلهُ إلى فعل شعري ؛ فكان رؤيا ما زالت صارخة حتى اليوم . وأغلب الظن أنها ستبقى في المستقبل . القصيدة الأخيرة لم يكتبها في حزيران ١٩٨٢ ، يوم أمسك البندقية وصَوَّبها باتجاه وجهه ونفَّذ قراره بالرحيل . في الواقع ، بدأ حاوي هذه القصيدة من زمن بعيد : يوم أن وُلِدَ ربما ، أو يَوْمَ بدأ يعي الأشياء . فالبنَّاء الفقير ، ابن البنَّاء ، يبرعُ في عمارة البيوت ، ويُصِرُّ على متابعة تحصيله العلمي في صف مدرسة كان أكبر تلاميذها يصغره بسنوات . هذا « الكبير في السن » ، الناجح في البكالوريا اللبنانية ، يُصِرُّ على متابعة دروسه وعلى دخول واحدة من أعرق جامعات العالم ليتخرَّج منها « دكتوراً » يمارس التدريس في الجامعات . هذا الشاعر الذي بدأ ينظم المواويل والميجانا والعتابا على سفوح التلال في قريته الشوير ، يتحول من الغزل المباشر والإنفعال البسيط إلى حامل هم حضارة عريقة تعاني ما تعانيه في حاضر مُرّ وتطمح ـ حتى برموزها ـ إلى مستقبل يُعوِّض لها العذابات الكبيرة . خليل حاوي ، هذا العربي ـ الحضاري بامتياز ، يُصَرُّ في نهاية الأمر على أن يتحول بكليته ، منذ أن كان برعماً صغيراً في قريته إلى أن أضحى شاعراً منارة في مسيرة الشعر العربي المعاصر ، إلى قصيدة عظمى هو فيها الرمزي/ الأسطوري ، وهو فيها الرؤيا والفعل . غير أنه أصرَّ على أن يضع النقطة الأخيرة على أسطر هذه القصيدة في سادس من حزيران مرَّ بالعالم سنة ١٩٨٢ .

خليل حاوي في حياته ، وشعره ، ونهايته كان واحداً . ولعل أساس هذا التوحُّد عنده ، كما حاول هو أن يقول ذات مرة ، يقوم على قدرة الإنسان/ الشاعر في أن يُعبِّر عن المأساة الإنسانية . فالمأساة ، كما يذكر خليل ، تقوم في أساسها « حول بطل يجسِّدُ أمة أو حضارة ، [و] دون وجود مثل هذا الفرد أو وجود الإيمان به لا يمكن أن تكون المأساة »[٧٣] . ويتوضح رأي خليل أكثر عندما يجد هذا البطل في الشاعر . إنه يقول : « المتنبي تأمَّل عن أُمَّة ، وتألم من أُمَّة ، وتفجَّعَ عن أُمَّةَ ، لأنه كان هو ضمير أمَّة من دون أمراء عصره